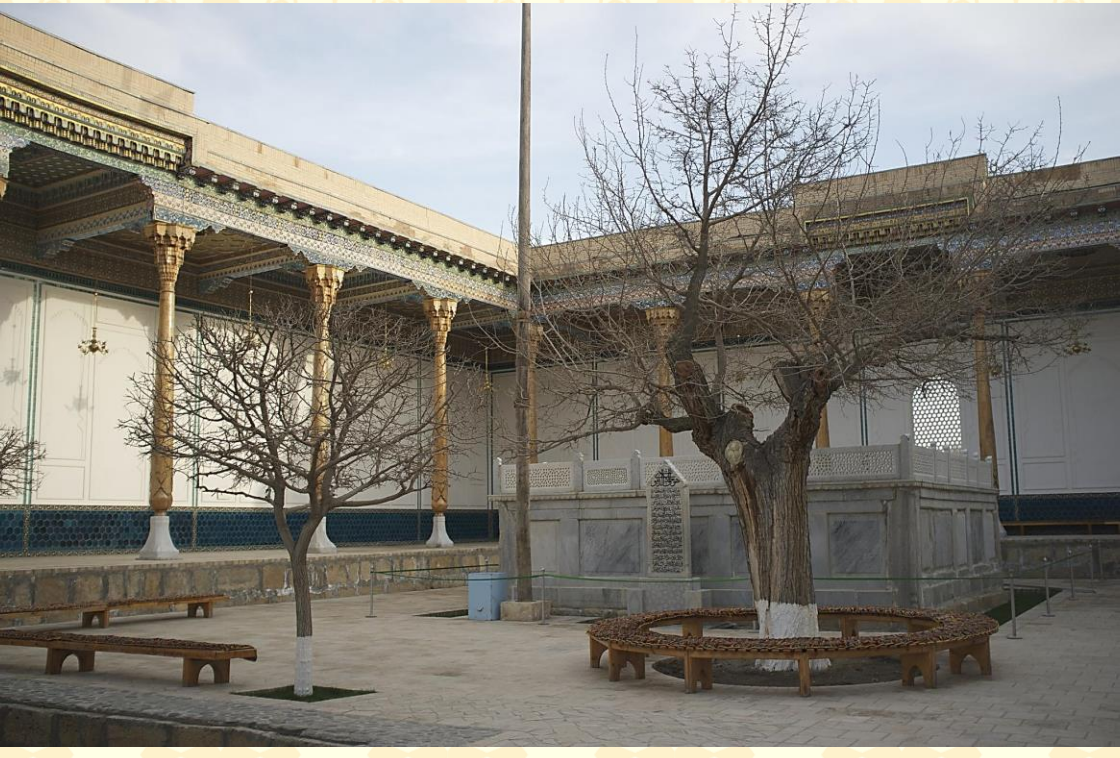
مناقبُ

صاحب الطريقة النقشبندية سيدنا العارف بالله



محمد شاه نقشبند الحسيني البخاري الأزبكستاني



تمهيد

قبل عشر سنوات كانت لي فرصة أن أزور دولة أزبكستان المسلمة ❋ والتي فيها مدينة مثل مدينة بخارى ❋ التي كانت لقرون مصدر إشعاع لأنوار الإسلام وتجليات الرحمن على المسلمين في هذه المدينة العظيمة ❋ والجديرة بالاحترام لما لها من تاريخ طويل في المحافظة على أركان الإسلام وأنوار الإيمان وأسرار الإحسان ❋ ولا

زالت الآثار تشهد بتاريخ المدينة العتيقة وكثرة مساجدها ومدارسها الفكرية ❊ وعندما زرتها لأول مرة تأثرت بكبر المساجد الموجودة وسعتها والمزخرفة بالتحف والآثار الإسلامية ❊ إذا لم أبالغ هناك أكثر من مسجد حجمه في المساحة ربما مثل مساحة المسجد النبوي الشريف على صاحبها أفضل الصلاة وأطيب السلام ❊

في هذه المدينة ولد نجم من نجوم المراتب العلية ❊ وكوكب من كواكب الأولياء

الكبار ❋ ألا وهو سيدنا الشيخ محمد بهاء شــاه النقشبندي رضي الله عنهم وأرضاهم ❋ ولا زالت وفود المنتسبين للسادة النقشبندية تزورهم بأعداد هائلة على مدار العام ❋ ومقامه الشريف موجود في أجمل بساتين بخارى نزهة للناظرين ظاهرا وباطنا ❋ فقدس الله روحه ونور الله مرقده في أعلى عليين بجاه النبي الكريم ﷺ ❋



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ❋ الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ❋ وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال الحق المبين ❋ وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبد الله ورسوله ونبيه وحبيبه وأشرف خلقه ﷺ صادق الوعد الأمين ❋

صل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين ❊ وخلفائه إلى يوم الدين ❊ ووراثه ونوابه في كل زمان ومكان ❊ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأنت خير الوارثين ❊

واجعل اللهم بركاتهم وأسرارهم وأنوارهم ❊ علينا وعلى أحبابنا وأهلينا أولادنا وبناتنا وذرياتنا ❊ إلى يوم أن نلقاك وأنت يا ربنا راض عنا ❊ وسيدنا النبي ﷺ راض عنا ❊

وأهل عزنا وسندنا ومن أحسن إلينا ومن أسأنا إليه راضون عنا ❋ بإذنك يا الله وتوفيقك يا إلٰهي وعنايتك يا سيدي ❋ اللهم ربنا آمين ❋ بسيدنا ومولانا محمد وبجاهه العظيم عندك يا رحمٰن يا رحيم ❋

هذه ترجمة لشيخ الطريقة النقشبندية الأكبر ❋ سيدنا القطب الغوث صاحب وقته وبركة عصره الشيخ البخاري الحاج السيد محمد بهاء الدين شـاه الحسيني

النقشبندي السني الإسلامي ❋ رضي الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بهم في الدارين ❋ نقلتها من كتاب في مجلدين عظيم القدر ❋ كتبه القطب سيدنا الشيخ يوسف النبهاني رضي الله عنهم وأرضاهم ❋ في كتابه الذي جمع فيه من الكنوز ومن المناقب لمشايخ الإسلام والمسلمين عبر العصور بعنوان «جامع كرامات الأولياء» رضي الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بهم وبأسرارهم وأنوارهم وعلومهم ❋

ويا إلٰهي وسيدي ومولاي بجاه حبيبك الأنور ورسولك الأفخم خلّقنا بأخلاقهم ❊ وأدّبنا بآدابهم ❊ واجعلنا على آثارهم هادين مهتدين ❊ بجاه كل جاه عندك يا الله ❊ وعند حبيبك سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ❊ والحمد لله رب العالمين ❊

سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند البخاري ❊ شيخ الطريقة العلية النقشبندية الأعظم وأحد أكابر أئمة الصوفية المقدم

❊ أخذ الطريق عن الشيخ محمد بابا السماسي ثم عن السيد أمير كلال ❊ ولد سنة 717 هجرية في قرية قصر العارفان على فرسخ من بخارى ❊

قال قدس الله سره : لما توفي الشيخ محمد بابا السماسي أخذني جدي إلى سمرقند ❊ فكان كلما سمع برجل صالح من أهل الله حملني إليه وسأله الدعاء لي ❊ فكانت تنالني بركتهم ❊ ثم أتى بي إلى بخارى وزوجني بها

❋ وكانت إقامتي في قصر العارفان ❋ ومن العناية الإلٰهية بي أني وصلت إلى قلنسوة العزيزان في تلك الأوقات ❋ فتحسنت أحوالي وقويت آمالي إلى أن حظيت بصحبة السيد أمير كلال قدس سره ❋ وأخبرني بأن الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره أوصاه بي ❋ وقال له : لا تأل جهدا بتربية ولدي محمد بهاء الدين وبالشفقة عليه ❋ ولستَ مني في حل إن قصرت في ذلك ❋ فقال له قدس سره :

إن أنا قصرت في هذه الوصية فلستُ برجل
❋ ثم وفى وعده ❋

وقال قدس الله سره : مبتدأ يقظتي وتوبتي أني كنت جالسا مع صاحب لي في خلوة ❋ فبينما أنا ملتفت إليه أكلمه إذ سمعت قائلا يقول لي : أما آن لك أن تعرض عن الكل وتتوجه إلى حضرتنا ❋ فحصل لي من سماع هذا الكلام حال عظيم وخرجت مسرعا من ذلك البيت لا يقر لي قرار ❋ وكان قريبا منه ماء فاغتسلت منه وغسلت

ثيابي ❊ وفى تلك الحالة من الإنابة صليت ركعتين طالما مضت علي أعوام وأنا أتـمنى أن أصلي مثلهما فلم أتمكن من ذلك ❊

وقال قدس الله سره : قيل لي فى بداية الجذبة كيف تدخل في هذا الطريق ❊ فقلت : على أن يكون كلُّ ما أقوله وأريده ❊ فقيل لي : كل ما نحن نقوله يجب أن يُفعل ❊ فقلت : لا أطيق ذلك ❊ بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا

الطريق وإلا فلا ❊ وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوما ❊ فحصل لي يأس عظيم ❊ ثم بعد ذلك قيل لي : إن الذي تريده يكون ❊ فقلت : أريد طريقة كل من دخلها تشرف بمقام الوصول ❊

وقال رضى الله عنه : كنت أوائل السلوك وغلبة الحال عديم القرار ❊ أدور الليل في نواحي بخارى وأزور القبور ❊ فزرت ليلة ضريح الشيخ محمد بن واسع ❊ فوجدت

عنده سراجا وفيه دهن واف وفتيلة طويلة غير أن الفتيلة تحتاج إلى تحريك قليل حتى يخرج الدهن ويتجدد نورها ❊ فما لبثت أن وقعت الإشارة إلي بالتوجه إلى زيارة ضريح الشيخ أحمد الأجفريولي ❊ فلما وصلت إليه إذا بسراج هنالك مسرج كذلك ❊ وإذا أنا برجلين قد أتيا فربطا على وسطي سيفين وأركباني حمارا ووجهاه إلى جهة ضريح الشيخ مزداخن قدس الله سره ❊ فلما وصلناه رأيت ثم سراجا كاللذين قبله ❊ فنزلت وجلست متوجها إلى نحو القبلة

❊ فوقع في ذلك التوجه غيبة فرأيت في تلك الغيبة أن الجدار القبلي قد انصدع وظهرت دكة عالية عليها رجل عظيم المقدار قد أُسبل أمامه ستر ❊ وحول الدكة جماعة فيهم الشيخ محمد بابا السماسي ❊

فقلت في نفسي : من هذا الرجل العظيم ومن حوله ❊ فقال لي أحدهم : أما الرجل العظيم فهو الشيخ عبد الخالق الغجدواني ❊ وأما الجماعة فهم خلفاؤه ❊ وجعل يشير إلى

كل واحد منهم ويقول : هذا الشيخ أحمد الصديق ❊ وهذا الشيخ أوليا الكبير ❊ وهذا الشيخ عارف الريوكري ❊ وهذا الشيخ محمود الأنجير نقولي ❊ وهذا الشيخ علي الرامتني ❊ ولما بلغ إلى الشيخ محمد بابا السماسي قال : وهذا قد رأيته في حال حياته وهو شيخك ❊ وقد أعطاك قلنسوة ❊ أفتعرفه ❊ فقلت : نعم ❊ وكان قد أتى على قصة القلنسوة حين من الدهر فنسيتها

❊ ثم قال : وهي في بيتك وقد رفع الله عنك ببركتها بلاءً عظيما قد كان حل بك ❊

فقال لي الجماعة : أصغ بسمعك ❊ فإن حضرة الشيخ الكبير يريد أن يتلو عليك ما ليس لك عنه غنى في سلوك طريق الحق ❊ فسألتهم أن أسلم عليه ❊ فأزاحوا ذلك الستر فسلمت عليه ❊ فبدأ يتكلم على ما يتعلق بأحوال السلوك أوله ووسطه ومنتهاه إلى أن قال : وأما تلك السرج التي رأيتها على تلك الكيفية فإنما هي لك بشارة

وإشارة إلى أن لك استعدادا تاما وقابلية لهذا الطريق ❋ غير أنه ينبغي تحريكُ فتيلة الاستعداد حتى تقوى الأنوار وتظهر الأسرار ❋ فأدّ القابلية حقها تبلغ الأوطار ❋ وعليك بالاستقامة والثبات على جادة الشريعة المطهرة في جميع الأحوال ❋ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ❋ والأخذ بالعزيمة والبعد عن الرخصة والبدعة ❋ وأن تجعل قبلتك أحاديث المصطفى ﷺ ❋ وتفحص عن أخباره

وآثاره وأحوال أصحابه العظام ❊ ثم بالغ بالتحريض والحث على ذلك ❊

ولما أن أتم كلامه قال لي خليفته : وآية صدق هذه الواقعة أن تذهب غدا عند مولانا شمس الدين الأنيكوتي وتخبره بأنه ما يدعيه فلان التركي على السقاء هو صحيح والحق مع التركي ❊ وأنت تساعد السقاء ❊ فإن أنكر السقاء صحة هذه الدعوى فقل له عندى شاهدان : الأول أنك يا سقاء عطشان ❊ فهو يعرف معنى هذه الكلمة ❊

والثاني أنك أتيت امرأة أجنبية فحملت منك فسعيت بإسقاط الحمل ودفنته في الموضع الفلاني تحت كرمة ❉

ثم قال : فإذا بلّغت هذه الرسالة لمولانا شمس الدين فخذ في اليوم الثاني ثلاث حبات من زبيب واذهب إلى نَسَف لخدمة السيد كلال ❉ وستجد في المحل الفلاني من الطريق شيخا يعطيك رغيفا حارا ❉ فخذه منه ولا تكلمه وامض في طريقك ❉ فتمر على قافلة إذا جاوزتها

استقبلك فارس فانصحه فإنه ستكون توبته على يدك ❊ وخذ معك قلنسوة العزيزان إلى السيد كلال ❊

ثم بعد ذلك حركوني فرجعت إلى نفسي ❊ فلما أصبحت ذهبت إلى منزلي فى زيورتون وسألت أهلي عن القلنسوة ❊ فأتوني بها وقالوا : إن لها في ذلك الموضع مدة مديدة ❊ فلما رأيتها أتاني حال عظيم وبكاء شديد ❊ فأخذتها وتوجهت ساعتئذ إلى أبنيكية

قرية من قرى بخارى ❊ فأتيت مسجد مولانا شمس الدين وصليت معه الصبح ❊ ثم بلغته ما أرسلت به إليه فتحير ❊ وكان السقاء ثم حاضرا فأنكر صحة دعوى التركي ❊ فأقمت عليه البينة السابقة ❊ فكذّب أمر الفاحشة ❊ فذهب جماعة ممن في المسجد إلى ذلك الموضع فحفروه فوجدوا السقط مدفونا فيه ❊ فطفق السقاء يعتذر ❊ وبكى مولانا شمس الدين وجماعة المسجد ❊ وحصل لهما أحوال عظيمة ❊

ثم عزمت في اليوم الثاني على التوجه إلى نسف من الطريق الذي عينوه لي في الواقعة ❉ وأخذت معي ثلاث حبات من زبيب ❉ فبلغ مولانا توجهي فأرسل إلي ولاطفني كثيرا وقال : إني أرى آلام الطلب قد استولت عليك ❉ وأثرت بك لوعةُ الحصول على الوصول وشفاؤك عندنا ❉ فأقم لنؤدي حق تربيتك ونبلغك أقصى بغيتك على مقتضى علو همتك ❉ فرأيتُني

أقول له : أنا ولد غيرِكم ❊ ولو جعلتم ثدي التربية في فيَّ لا أقبله ❊

فسكت وأذن لي بالسفر ❊ فتحزمت بحزام لي وأمرت شخصين أن يشداه من الطرفين ليكون في غاية الإحكام وسرت ❊ فلما وصلت المكان الذي ذُكر لي لقيت فيه شيخا فأعطاني رغيفا حارا ❊ فأخذته ولم أكلمه ومضيت ❊ فإذا أنا بقافلة ❊ فسألني أهلها من أين أتيت ❊ فقلت لهم : من أنبكية

❊ قالوا : متى خرجت منها ❊ فقلت لهم : وقتَ طلوع الشمس ❊ وكان ذلك عند الضحى ❊ فعجبوا من ذلك وقالوا : إن بين القرية وهذا المحل أربعة فراسخ ❊ ونحن خرجنا أول الليل ❊

ثم بارحتهم وسرت ❊ فما نشبت أن استقبلني فارس ❊ فحينما وصلت إليه سلمت عليه فقال لي : من أنت فإني أجدني خائفا منك ❊ فقلت له : أنا الذي تكون

توبتك على يديه ❋ فتحول بالحال عن فرسه
وأظهر كمال التواضع والتضرع وتاب ❋
وكان معه أحمال من خمر فأهرقها كلها ❋

ثم جاوزته وقد دخلت حدود نسف ❋
فقصدت مقام السيد أمير كلال ❋ فلما
تشرفت برؤيته وضعت القلنسوة بين يديه ❋
فسكت برهة طويلة ثم قال : هذه قلنسوة
العزيزان ❋ فقلت له نعم ❋ فقال : صدر
الأمر بأن تحفظ ضمن عشرة أغشية ❋

فأخذتها وفعلت كما أمر ❊ وبعد ذلك لقنني الذكر بالنفي والإثبات خفية وأمرني بالاشتغال به ❊ فتابعته على ذلك ❊ ولكوني أمرت في الواقعة بالأخذ بالعزيمة لم أذكر بالجهر ❊

ثم لازمت العلماء لاقتباس أنوار العلوم الشرعية منهم ❊ واقتفاء آثار سيدنا رسول ﷺ ❊ وقراءة أحاديثه الشريفة ❊ والبحث عن أخلاقه وأحوال الصحابة الكرام

والعمل بها كما أمرت ❊ فوجدت لذلك تأثيرا تاما ونفعا عظيما ❊ وكل ما تكلم به الشيخ عبد الخالق الغجدواني مر علي ❊ وظهرت لي نتيجة كل أمر في وقته ❊

قال الشاه نقشبند رضي الله عنه : ثم صحبت مولانا عارف الديكراني سبع سنين ❊ ثم مولانا قثم شيخ ❊ ونمت ليلة فرأيت الحكيم أتا قدس سره وكان من أكابر مشايخ الترك وهو يوصي بي درويشا ❊ فلما انتهيت بقيت

صورة الدرويش في مخيلتي ❊ وكانت لي
جدة صالحة فقصصت عليها هذه الرؤيا
فقالت : سيكون لك يا ولدى من مشايخ
الترك نصيب ❊ فلم أزل أتوخى لقاء هذا
الدرويش حتى لقيته في بخارى فعرفته ❊
وكان اسمه خليل ❊ غير أني لم أتمكن
ساعتئذ من صحبته ❊ فذهب إلى البيت وأنا
مشغول البال ❊ فلما كان وقت المغرب
أتاني شخص فقال لي : إن الدرويش خليل
يريدك ❊ فأخذت في الحال هدية الزيارة

وأسرعت بالذهاب إليه ❊ فلما تشرفت بلقائه أردت أن أخبره بتلك الرؤيا ❊ فقال بالتركي : أنا أعلم ما رأيت فلا حاجة إلى البيان ❊ فمال قلبي إليه وحصل لي تأثير عظيم من كلامه ❊ ونلت بصحبته أحوالا عالية ❊

وقال شاه نقشبند رضي الله عنه : طفت ليلة حول زيورتون فوصلت إلى أكمة هنالك ❊ فورد علي حال عجيب ❊ فقيل لي

اطلب من حضرتنا ما أردت ❊ فقلت مع
التواضع والخضوع : إلٰهى هب لي قطرةً
من بحار رحمتك وعنايتك ❊ فقيل لي :
تطلب من كرم حضرتنا قطرة ❊ فأخذني
حال أعظم وهزتني الأريحيةُ وعلوُّ الهمة
❊ فلطمت وجهي لطمة قوية وجدت
ألـمَها أياما وقلت : يا كـريم هب لي
بحار رحمتك وعنايتك مع القوة على تحملها
❊ فظهر لي على الفور أثر الموهبة والعناية
وببركة ذلك بلغت ما بلغت ❊

ومن عظيم كراماته أنه قال : خرجت يوما
أنا ومحمد زاهد إلى الصحراء ❊ وكان مريدا
صادقا ❊ ومعنا المعاول نشتغل بها ❊ فمرت
بنا حالة أوجبت أن نرمي المعاول ونتذاكر
في المعارف ❊ فما زلنا كذلك حتى انجر
الكلام معنا إلى العبودية ❊ فقلت له : تنتهي
إلى درجة إذا قال صاحبها لأحد مت مات
في الحال ❊ قال : ثم وقع لي أني قلت له
ساعتئذ مت فمات حالا ❊ واستمر ميتا من
وقت الضحى إلى نصف النهار ❊ وكان

الوقت حارا فانزعجت لذلك وتحيرت كثيرا

❊ ثم أويت إلى ظل قريب منه فجلست وأنا

في حيرة تامة ❊ ثم رجعت عنده فنظرت

إليه فوجدته قد تغير من فرط الحر فازددت

قلقا ❊ فألقي إلي وقتئذ أن قل له : يا محمد

احيَ (ارجع إلى الحياة) ❊ فقلت له ذلك

ثلاث مرات ❊ فأخذت تسرى به الحياة

شيئا فشيئا وأنا أنظر إليه حتى عاد إن حاله

الأول ❊ فأتيت السيد كلال فقصصت

عليه القصص ❊ فلما ذكرت له أنه مات

وتحيرت من ذلك قال لي : يا ولدى لِمَ لم تقل له احي ❊ فقلت له : لما ألهمت ذلك قلته له فعاد حيا ❊

ومنها : أنه رأى مرة ابن بنته الشيخ حسن العطار وهو طفل قد ركب عجلا والأطفال حوله ❊ فقال جده الشاه نقشبند : يوشك أن يركب والملوك والأمراء تمشي أمامه ❊ فكان كما قال فإنه بعد بلوغه قدم خراسان ولقي ملكها مرزا شاه رُخ رحمه الله تعالى في بستان باغ زاغان ❊ فقدم إليه بغلته ❊

فلما أراد أن يركبها أخذ الملك عنانها بيده ومشى أمامه حتى هدأت ❊ فترجل الشيخ حسن ومشى بوجهه إلى بخارى وطأطأ رأسه الشريف خضوعا وتواضعا لروحانية جده قدس الله سره العزيز ❊ ثم ذكر للملك بشارته وتحقق كرامته ❊ فزاد اعتقاده ومن معه به ❊

قال سيدي محمد بن العطار : قال لي الشيخ محمد راهين يوما : كيف قلبك ❊

فقلت له لا أعرف كيفيته ❊ فقال : أما أنا فإني أراه كالقمر ليلة ثلاثة ❊ فذكرت ذلك لسيدنا شاه نقشبند فقال : هذا بالنظر إلى قلبه ❊ وكان وقتئذ واقفا فوضع قدمه على قدمي فغبت عن نفسي ❊ فرأيت جميع الموجودات مطوية في قلبي ❊ فلما أفقت قال : إذا كان القلب هكذا فكيف يتسنى لأحد إدراكه ❊ ولهذا قال في الحديث القدسي : «ما وسعَني أرضي ولا

سمائي ❊ ووسعني قلبُ عبدي المؤمن» ❊
وهذا من الأسرار الغامضة ❊ فَهِمَ من فهم ❊

ومن كراماته : نقل الشيخ علاء الدين العطار أنه لما قدم ملك ما وراء النهر السلطان عبد الله كازغان إلى بخارى عزم أن يخرج إلى الصيد في نواحي بخارى وأن يخرج الناس معه ❊ وكان الشيخ في قرية من قرى بخارى ❊ فلما خرج أهل تلك القرية خرج معهم فابتدروا الصيد ❊ وأما الشيخ قدس الله سره فقد طلع إلى ربوة

قريبة منهم وأخذ يرقع ثوبه ❋ فخطر بباله
وقتئذ أن الأولياء عزتهم بالله فلذلك
وضعت السلاطين رؤوسَها على أعتابهم ❋
فما تم هذا الخاطرُ إلا وأقبل عليه فارس
متزين بزينة الملوك ❋ فلما وصل إليه ترجّل
وجاء مع التعظيم التام والخضوع الوافر ❋
فسلم على الشيخ قدس الله سره ووقف
متأدبا في ضحّ الشمس نحو ساعة ❋ فرفع
إليه الشيخ رأسه وقال له : بماذا كنت
تشتغل ❋ قال : كنت مشغولا بالصيد

فوجدتني قد جُذبت إلى هذا الجانب بغير اختياري ❋ فلما وصلت إلى هذا الموضع رأيتكم فمال قلبي إليكم ميلا تاما ❋

ثم جعل يتذلل له ويتواضع إليه ويطلب الإمداد منه ❋ فقال له الشيخ قدس الله سره : اتركني فإني فقير ❋ كنت في هذه القرية فأخرج عبد الله كازغان الناس للصيد فرافقتهم ❋ فلما لم أكن أصلح لذلك

جئت إلى هنا ❊ فقال له : لكن يا سيدي أنتم قد صدمتموني ❊

فقام الشيخ ولبس ثوبه وتوجه إلى جهة الصحراء ❊ فتبعه الرجل ولم يزل الشيخ يمشي والرجل يمشي خلفه بتمام الانكسار حتى نظر إليه الشيخ نظرةَ هيبةٍ وجلالٍ ❊ فوقف مكانه ولم يستطع أن يتبعه بعد أبدا ❊

وروي عن بعض أصحابه أنه قال : كنت
في خدمته وهو في بلدة مرو ❊ فاشتقت
لرؤية أهلي في بخارى ❊ وكان بلغني أن
أخي شمسَ الدين قد مات ولم أجسر على
الاستئذان منه ❊ فالتمست من الأمير
حسين وكان وقتئذ معه أن يستأذن لي منه
❊ نخرج لصلاة الجمعة يوما ❊ فلما رجع من
المسجد ذكر له الأمير موت أخي ❊ فقال له
كيف هذا الخبر وهو حي وهذه رائحته
تفوح بل أجد رائحتَه قريبة جدا ❊ فما تم

كلامهم إلا وقد وصل أخي من بخارى وجاء فسلم على الشيخ ❋ فقال : يا أمير حسين هذا شمس الدين ❋ فحصل للحاضرين حال عظيم ❋

وقال الشيخ علاء الدين العطار : كان قدس الله سره في بخارى ❋ وكان المولى عارف أحد أعزاء أحبابه في خوارزم ❋ فكان يتكلم يوما على صفة البصر مع أصحابه ❋ فقال في أثناء كلامه : الآن خرج المولى

عارف من خوارزم إلى جهة السراي

ووصل إلى الموضع الفلاني من طريق

السراي ❋ ثم بعد لحظة قال : خطر في بال

المولى عارف أن لا يذهب إلى السراي وها

هو قد رجع إلى جهة خوارزم ❋ فقيد

أصحابه هذه القصة بتاريخها ❋ فبعد مدة

قدم المولى عارف من خوارزم إلى بخارى

فأخبروه بما ذكره الشيخ قدس الله سره ❋

فقال لهم : هذا هو الذي وقع لي بعينه ❋

فتعجب أصحابه من ذلك غاية العَجب ❋

وقال الشيخ عبد الله القوقندي : كان سبب صحبتي له قدس الله سره أنه حصلت لي قبل ذلك بسنين لوعةٌ محرقة وأنا في قوقند ❊ سلبت قراري وتعطشت للدخول في هذا الطريق ❊ فخرجت من قوقند هائما على وجهي حتى وصلت إلى ترمذ ❊ فذهبت إلى زيارة ضريح العارف الكبير أبي محمد بن علي الحكيم الترمذي قدس الله سره وأنا في غاية الاضطراب ❊ ثم أتيت مسجدا على جانب نهر جيحون ونمت فيه ❊ فرأيت شيخين مهابين ❊ فقال لي

أحدهما : هل تعرفنا ❊ أنا محمد بن علي الترمذي وهذا سيدنا الخضر عليه السلام ❊ لا تُتعب نفسك ولا تضطرب ❊ فإنه ما آن أوان ما تريد ❊ ولكن ستصل إليه بعد ثنتي عشرة سنة في بخارى على يد الشيخ بهاء الدين الشاه نقشبند الذي هو قطب الزمان وقتئذ ❊

ثم أفقت وقد سكن ما بي ❊ فرجعت إلى قوقند ❊ ثم إني كنت يوما ماشيا في السوق

فإذا أنا بتركيين دخلا المسجد فتبعتهما ❊
فجلسا يتحدثان فأصغيت لحديثهما ❊
فسمعتهما يتكلمان على أحوال الطريق ❊
فمال قلبي إليهما فأسرعت فأتيتهما بطعام ❊
فقال أحدهما للآخر: هذا فيه لوعة يليق أن
يكون في خدمة ولد سلطاننا الشيخ إسحاق
❊ فلما سمعت ذلك استفسرت منهما عن
ذلك الشيخ ❊ فأخبراني أنه بنواحي قوقند
❊ فذهبت إليه في الحال ❊ فلاطفني
ملاطفة تامة ❊ وكان له ولد وعليه آثار

النجابة والإخلاص ❋ فقال لي ولده يوما : إن هذا المريد منكسر ❋ فينبغي أن تصطفوه وتتخذوه صاحبا ❋ فبكى الشيخ وقال له : يا ولدي هذا من أولاد الشيخ بهاء الدين ليس لي عليه حكم ❋ فعند ذلك رجعت إلى قوقند أنتظر زمان ظهور هذه الإشارة ❋

فلما مضت مدة إلا ورأيت قلبي قد انجذب إلى جهة بخارى ❋ فلم أقدر أن أتأخر لحظة

فسافرت إليها ❊ فعندما وصلت قصدت توا حضرة الشيخ قدس الله سره ❊ فلما تشرفت برؤيته قال لي : آنست يا عبد الله القوقندي ❊ بقي ثلاثة أيام حتى تتم مدة الاثني عشرة سنة ❊

فأخذني في هذه الإشارة حال غريب ❊ وطلع صبح سعادة محبته في أفق قلبي ❊ فلم يفهم الحاضرون ما أشار إليه فسألوني ❊ فلما أذقتهم الخبر امتلأوا نضرة وسرورا ❊

ثم أقبل بالعناية التامة علي ❊ وقبلني أن أكون عبدا له قدس الله سره ❊

وقال الشيخ علاء الدين العطار : كنت عند حضرته في يوم غيم فقال لي : هل دخل وقت الظهر ❊ فقلت له لا ❊ فقال : انظر إلى السماء ❊ فنظرت فلم أجد حجابا أصلا ❊ ورأيت جميع ملائكة السموات مشتغلين بصلاة الظهر ❊ فقال : ما تقول هل صار وقت الظهر ❊ فخجلت مما صدر مني

واستغفرت منه وبقيت مدة وأنا أجد لذلك في نفسي ثقلا عظيما ❊

وروي عن بعض أصحابه أنه قال : أرسلني قدس الله سره يوما في حاجة ❊ فلما رجعت رأيت المريدين وقوفا في البستان الذي فيه مرقده الشريف الآن وبأيديهم المعاول والمكاتل ❊ فدخلني أشد الخوف وأخذتني حمى نافض ❊ ثم بعد ساعة جاء الشيخ قدس الله سره من منزله فقال لي : أراك متغيرا ❊ فقلت له : منذ وصلت إلى

هنا اعتراني خوف شديد وما علمت ما سببه ❋ فقال : سل الأمير حسينا عنه ❋ فسألت فقال : سبب ذلك أن المريدين أتوا من الصباح لنقل التراب ولم تكن معهم ❋

قال : ثم عاد قدس الله سره إلى المنزل لإصلاح طعام المريدين ❋ فلم تلبث أن رأينا رجلا شابا جاء من جهة منزله إلى جهتنا وهو يطير في الهواء ويثب من محل إلى محل كالطائر ❋ فلما دنا منا مر من فوق رؤوسنا كذلك ❋ فطفقنا جميعا ننظر إليه

وعزمنا أن ندع ما نحن فيه من العمل ونتأثره ❊ فبينما نحن كذلك إذا بحضرة الشيخ قدس الله سره قد خرج من المنزل وأشار إلينا أن على رسلكم حتى أجيء إليكم ❊ فحصل لنا رعب عظيم من كلامه ❊ فلما أن جاء ورأى حالنا التفت إلي وقال : هذه حالك التي اعترتك أولا قد انعكست عليهم ❊ ثم قال : وأما الشاب الذي كان يطير فهو شخص كنت رأيته وأنا ذاهب من نسف إلى بخارى يطير ❊ فلما دنوت منه

قلت له : كيف تركت صحبة رجال الغيب ووقعت في الألم والحسرة ❊

فقال : أنا من البلد الفلاني وقد أدخلوني في صحبتهم ❊ فكنا ذات يوم جلوسا على جبل فمر بخاطري ذكر الزوجة والولد ❊ فكوشفوا بهذا الخاطر فقصدوا أن يذهبوا ويتركونى ❊ فتمسكت في الحال بذيل واحد منهم وسألتهم أن يوصلوني إلى محل معمور ❊ فأتوا بي إلى هذا المكان ❊

قال قدس الله سره : فجئت به من نسف إلى بخارى منذ ستة أيام ووضعته في منزلي ❈ فلما ذهبت لأهيئ لكم الطعام استأذنني بالذهاب فأذنت له ❈ ثم أردت أن آتيكم بالطعام فرأيت ما حل بكم من التفرقة وتشتيت الخاطر فخرجت مسرعا وأشرت إليكم بما أشرت ❈ ثم قال وقد ظهر عليه تجلي الجلال : ينبغي للمريد أن يكون راسخَ القدم لا يزيحه كل شيء عما هو فيه ❈ ولا يتبدل اعتقاده في شيخه بوجه من الوجوه

أصلا ❊ حتى لو رأى سيدنا الخضر عليه السلام لا يلتفت إليه ❊

وقال وقد غلبت عليه الهيبة والسطوة : مرتبة الطيران سهلة ❊ فإن الذباب ليطير في الهواء أيضا ❊ ثم أمر الأمير حسينا رحمه الله وبقية المريدين أن يملأوا المكتل ترابا ويتركوه ففعلوا ❊ فأشار الشيخ إلى المكتل فمشى بنفسه وأفرغ التراب ورجع إلينا بنفسه وفعل ذلك مرارا ❊ فقال قدس الله

سره : هذه الأمور وأمثالها لا اعتبار لها عند خواص أهل الله تعالى ❊

وحكى الشيخ علاء الدين العطار أن الشيخ تاج الدين أحد أصحاب الحضرة البهائية كان إذا أرسله الشيخ إلى حاجة من قصر العارفان إلى بخارى يعود ببرهة قليلة ❊ وذلك أنه كان إذا غاب عن أعين المريدين يطير فى الهواء ❊ قال : وأرسلني يوما في أمر إلى بخارى فذهبت على هذه الكيفية ❊ فرأيت الشيخ في طريقي فرآني على هذه

الحالة فسلبها مني ❋ فلم أقدر بعد ذلك أن أفعلها أبدا ❋

وقال الشيخ خسرو وهو من أجلاء أصحابه قدس الله سره : قصدت يوما زيارة الشيخ فوجدته واقفا في البستان على حافة الحوض يتكلم معه شخص لم أعرفه ❋ فلما سلمت عليه انصرف ذلك الشخص إلى ناحية من نواحي البستان ❋ فقال لي قدس الله سره : هذا سيدنا الخضر ❋ مرتين ❋

فلم أتكلم بل سكت ❋ وبعون الله تعالى لم أجد في نفسي ميلا إليه لا ظاهرا ولا باطنا ❋ ثم بعد يومين أو ثلاثة رأيته أيضا في بستان الخانقاه يتحدث مع الشيخ قدس الله سره ❋ وبعد مضي شهرين لقيته أيضا في سوق بخارى ❋ فتبسم لي فسلمت عليه فعانقني وباسطني وسألني عن أحوالي ❋ فلما رجعت إلى قصر العارفان وتمثلت في أعتاب الشيخ قدس الله سره قال لي : إنك اجتمعت بسيدنا الخضر في سوق بخارى ❋

وسافر بعض العلماء مع جماعة من مريدي الشيخ قدس الله سره إلى العراق ❊ قال : فلما وصلنا إلى سمنان سمعنا هناك رجلا مباركا اسمه السيد محمود من مخلصي الشيخ ❊ فقصدنا زيارته جميعا وسألناه عن سبب اتصاله بالشيخ رضي الله عنه ❊ فقال : كنت رأيت في المنام سيدنا رسولَ الله ﷺ وهو في مكان جميل وإلى جانبه رجل مهاب ❊ فقلت لسيدنا النبي ﷺ أو لذلك الرجل الجليل مع التواضع والأدب : أني لم أتشرف بصحبتكم ولم أحضر بركة زمنكم

والاجتماع بكم وفاتتني هذه السعادة ❊
فماذا أصنع ❊ فقال لي : إن أردت أن تنال
بركتي وفضل رؤيتي فعليك بمتابعة بهاء
الدين ❊ وأشـار إلى ذلك الرجل الذي إلى
جنبه ❊ وما كنت رأيت الشيخ قبل ذلك ❊

فلما أفقت قيدت اسمه وحليته على ظهر
كتاب ❊ ثم بعد مدة مديدة كنت جالسا
على دكان بزّاز ❊ فرأيت رجلا عليه نور
وهيبة وقد جاء وجلس على الدكان ❊ فلما

رأيت وجهه تذكرت تلك الحلية ❁ فحصل
لي حال عظيم ❁ فلما سرى عني سألته أن
يشرف منزلي ❁ فأجاب إلى ذلك وقام
يمشي أمامي وأنا أمشي خلفه ❁ فلم يلتفت
حتى وصل إلى منزلي ❁ وهذه أول كرامة
شاهدتها منه ❁ فإنه لم ير منزلي قبل أصلا
❁ ثم لما دخل قصد حجرة خاصة بي وكان
فيها خزانة كتب لي ❁ فمد يده الشريفة
واستخرج من بينها كتابا وأعطاني إياه وقال
ماذا كتبت على ظهره ❁ فإذا هو الكتاب

الذي كتبت على ظهره الرؤيا وتاريخها
وإذا لها سبع سنين ❊ فصار لي من اطلاعه
على ذلك حال أعظم من الأول ❊ حتى
إذا انجلى عني ما أجده قابلني باللطف ❊
وقبلني أن أكون من زمرة أصحابه ❊
وشرفني بسعادة خدمة بابه ❊

ودعاه بعض أصحابه في بخارى ❊ فلما أذّن
المغرب قال للمولى نجم الدين دادرك :
أتمتثل كل ما آمرك به ❊ قال نعم ❊ قال

: فإن أمرتك بالسرقة تفعلها ❊ قال لا ❊
قال : ولِمَ ❊ قال : لأن حقوقَ الله تكفرها
التوبة وهذه من حقوق العباد ❊ فقال : إن
لم تمتثل أمرنا فلا تصحبنا ❊ ففزِع المولى
نجم الدين فزعا شديدا وضاقت عليه
الأرض بما رحبت وأظهر التوبة والندم
وعزم على أن لا يعصى له أمر ❊ فرحمه
الحاضرون وشفعوا له عنده وسألوه العفو
عنه ❊ فعفا عنه ❊ ثم خرج سيدنا الشيخ
قدس الله سره وفي خدمته المولى نجم الدين

ونفر من أصحابه وساروا إلى محلة باب سمرقند ❊ فأشار الشيخ إلى بيت وقال : اخرقوا جداره وادخلوا تجدوا في الموضع الفلاني منه كيسا مملوءا أمتعة فأتوا بها ❊ ففعلوا ❊

ثم ساروا إلى زاوية هنالك وجلسوا ❊ فبعد ساعة سمعوا نبح الكلاب فأرسل المولى نجم الدين وبعض أصحابه إلى ذلك البيت فوجدوا السراق قد خرقوا جدارا آخر ودخلوا فلم يجدوا شيئا ❊ فقالوا لبعضهم

جاء قبلنا سراق وأخذوا ما فيه ❊ فتعجب أصحاب الشيخ قدس الله سره من ذلك الأمر ❊ وكان صاحب البيت في بستان له ❊ فأرسل الشيخ صباحا إليه الأمتعة مع مريد وأمره أن يخبره أن الفقراء مروا على بيتك فاطلعوا على هذه القضية فخلصوا الثياب من السارقين ❊ ثم نظر إلى المولى نجم الدين وقال له : لو امتثلت الأمر ابتداء لوجدت حكما جمة ❊

وروي عن بعض أصحابه أنه قال : زارنى الشيخ قدس الله سره يوما ❋ فخجلت خجلا عظيما إذ لم يكن وقتئذ عندي دقيق ❋ فأتيت بحمل دقيق ❋ فقال لي : اخبز من هذا الدقيق ولا تخبر أحدا بقلته أو كثرته ❋ فأقام عندي عشرة أشهر والمريدون والأحباب يتواردون إلى منزلي لزيارته دائما ونحن نخبز لهم من هذا الدقيق ❋ كل ذلك وهو بحاله ❋ ثم إنه بعد ذلك أخبرت أهلي وخالفت أمر الشيخ ❋ فزالت

البركة وانتهى الدقيق بأقرب وقت ❊ فكان ذلك أعظم سبب لقوة يقيني بكمال ولايته وعظيم كرامته ❊

وقال الشيخ محمد زاهد : كنت إبان السلوك جالسا معه قدس الله سره ❊ وكان ذلك في فصل الربيع ❊ فاشتهت نفسي البطيخ فطلبته منه وفي القرب منا ماء جار ❊ فقال : اذهب إلى ذلك الماء ❊ فذهبت فوجدت فيه بطيخة قطفَ ساعتها ❊

فحصل لي تمام الاعتقاد بحضرته نفعنا الله ببركته ❊

ونقل عن بعض أصحابه أنه قال : لما تشرفت بصحبته قدس الله سره كان الشيخ شادي أحد أجلاء أصحابه كثيرا ما يعظني وينصحني ويؤدبني ❊ فمما أمرني به أن لا يمد أحد منا رجله إلى جهة يكون فيها الشيخ ❊ فأتيت يوما من غزيوت إلى قصر العارفان في وقت شديد الحر لزيارته ❊ فأويت إلى ظل شجرة في الطريق

واضطجعت فجاء حيوان فلدغني في رجلي مرتين * فقمت وقد تألمت ألما شديدا ثم اضطجعت * فعاد مرة ثالثة كذلك فجلست أتفكر في سبب ذلك مدة حتى تذكرت نصيحة الشيخ شادي ووجدت أني قد مددت رجلي إلى ناحية قصر العارفان وكان الشيخ وقتئذ ثم * فعلمت أن ذلك تأديب لي على ما فرط مني *

وذكر الشيخ علاء الدين أن الشيخ أمر الأمير حسينا أن يجمع حطبا كثيرا وذلك

في فصل الشتاء ❋ فلما تم ما أمره به أرسل
الله فى اليوم الثاني منه ثلجا عظيما بحيث
نزل أربعين مرة ❋ ثم إن الشيخ سافر وقتئذ
إلى خوارزم وفي خدمته الشيخ شادي ❋
فلما بلغا نهر حرام أمره أن يمشي على الماء
❋ نخاف الشيخ شادى ❋ فأمره غير مرة
فلم يفعل ❋ فنظر إليه نظرة عظيمة غاب
بها عن نفسه برهة ❋ فلما أفاق وضع قدمه
على وجه الماء ومشى والشيخ خلفه ❋ فلما
جاوزاه قال : انظر هل ابتلّ شيء من

خفك أو لا ❋ فنظر فلم يجد فيه بللا أصلا بقدرة الله تعالى ❋

وقال بعض أصحابه : سبب محبتي له وصحبتي معه قدس الله سره أني كنت يوما في سوق بخارى في دكان لي ❋ فأتى وجلس إلى دكاني وشرع يذكر بعض مناقب الشيخ أبي يزيد إلى أن قال : ومما ذكر في مناقبه أنه قال : لو مس طرف ثوبي أحدا صار محبا لي ومشغوفا بي ومشى خلفي ❋ وأنا أقول : لو حركت كمي لجعلت جميع أهل بخارى

كبيرهم وصغيرهم والـهين فيّ هائمين بحبي يذرون البيت والدكان ويتبعونى ❊ ووضع يده المباركة على كمه فوقع بصري حالتئذ على كمه ❊ فاعتراني حال غبت فيه عن نفسي ولبثت زمنا طويلا كذلك ❊ فلما أفقت استولت علي سلطنة محبته ❊ وتركت البيت والدكان ولزمت خدمته ❊

وعن بعض أصحابه أنه قال : سألته قدس الله سره يوما أن يدعو الله لي بأن يأتيني

غلام ❁ فدعا لي فولد لي ولد ببركة دعائه

ثم مات ❁ فذكرت ذلك له فقال : إنك

طلبت منا أن يأتيك ولد ❁ وقد أعطاك الله

ذلك وأخذه ❁ ولكن نرجوه تعالى أن

يعطيك الله تعالى ببركة دعاء الفقراء ولدين

يعمران مدة طويلة ❁ فبعد أيام جاءني

غلامان ❁ فمرض أحدهما فأخبرته فقال :

هو ولدي فما لك والاشتغال به ❁ فإنه

يمرض كثيرا ثم يشفي ❁ وكان كما ذكر

رضي الله عنه ❁

وعن الشيخ عارف الديكراني أحد أجلاء خلفاء السيد أمير كلال قدس الله سره أنه قال : ذهبنا يوما لزيارة الشيخ بهاء الدين في قصر العارفان ❊ فلما رجعنا إلى بخارى كان معنا زمرة من فقرائها ❊ فتكلم شخص منهم على الشيخ رضى الله عنه فنهيناه وقلنا له : إنك لا تعرفه ولا يجوز لك أن تسيء الظن والأدب مع أولياء الله تعالى ❊ فلم ينته فجاء زنبور ودخل إلى فمه حالا ولدغه ❊ فتألم ألـما شديدا لم يستطع معه صبرا ❊ فقلنا له : هذا من سوء أدبك مع الشيخ ❊

فبكى بكاء كثيرا ثم تاب وأناب فبرئ في الحال ❋

وحاصر عسكر صحراء قبجاق مدينة بخارى مدة فاشتد البلاء على أهلها وهلك منهم خلق كثير ❋ فأرسل أميرها إليه قدس الله سره نفرا من خاصته بأنا عجزنا عن مقاومة الأعداء بالكلية ❋ وفسد كل ما دبرناه وتقطعت بنا الأسباب ❋ ولم يبق منا ملجأ نلتجئ إليه من هؤلاء الظلمة إلا أنتم ❋ فتضرعوا إلى الله تعالى أن يخلص المسلمين

من أيديهم ❊ فهذا وقت المساعدة والأخذ باليد ❊

فقال لهم : نتضرع إليه تعالى الليلة وننظر ما يفعل رب العزة جل جلاله ❊ فلما طلع الفجر أخبرهم : بأني بشرت بانجلاء البلاء بعد ستة أيام ❊ فبشروا أميركم بذلك ❊ فسر أهل بخارى سرورا عظيما وكان كما ذكر ❊ فإنه بعد ستة أيام رفع عسكر الأعداء الحصار عن البلدة وانجلوا عن آخرهم ❊

وقال الشيخ شـادي : لما سعدت بمحبة الشيخ قدس الله سره سهل علي البذل والإيثار * فاجتمع عندي يوما مائة دينار * فتقدم إلي أهلي في ادخارها * فلضعف اليقين وافقتهم * ثم ذهبت إلى بخارى فاشتريت خفا كيمختيا وغيره * ثم رجعت قاصدا زيارته قدس الله سره في قصر العارفان * فلما تمثلت بين يديه قال : لِمَ ذهبت إلى بخارى * فقلت : لمصلحة عرضت لي هنالك * فقال : ائتنى بذلك

انحف الكيمختى وبقية ما اشتريته ❊
فأتيت بها سريعا ❊ فقال : وأحضر بقية
المائة دينار فجئته بها ❊ فنظر إلي وقال : لو
شئتُ لجعلتُ لك الجبل بحول الله عز
وجل ذهبا ❊ ولكن لا ينبغي لنا الالتفات
في عالم الفناء إلى مثل هذه الأشياء ❊ فإن
نظر هذه الطائفة من وراء هذا العالم ❊
فكيف تدّخر وأنت تعلم أن ما كان لك لا
ينقص منه شيء ❊ إني أعظك أن تعود
لمثل هذا ❊

وقال المولى محمد مسكين وكان من أكابر أصحابه : توفي أحد الصالحين في بخارى فذهب الشيخ قدس الله سره لتعزية أهله ❊ فأظهروا هم وأصحابُهم جزعا عظيما وأفعالا كرهها الحاضرون ونهوهم عنها وعابوها عليهم ❊ فقال الشيخ : متى حضرني الموت أنا أُعلم الفقراء كيف يموتون ❊ فلم يزل هذا الكلام في مخيلتي حتى مرض الشيخ مرضه الأخير ❊ نخرج إلى الرباط ودخل خلوته وطفق أصحابه يتواردون عليه ويلازمونه وهو يوصى كلا منهم بما يناسبه

❊ ثم رفع يديه بالدعاء فدعا ❊ ثم مسح بها وجهه ثم لقي ربه ❊

وقال الشيخ علي الداماد وكان من خدمة الشيخ قدس الله سره : أمرني الشيخ بحفر قبره الأنور ❊ فلما أن أتممته قد خطر لي أنه من يخلفه في قومه ❊ فرفع رأسه المبارك وقال : لم يزل الأمر على ما ذكرنا في طريق الحجاز أن من أحب متابعتي فليتبع محمدا

يارسا ❊ ثم انتقل رضي الله عنه في اليوم الثاني منه ❊

وقال الشيخ علاء الدين العطار : كنا نقرأ عند احتضار حضرة الشيخ قدس الله سره سورة يس ❊ فلما بلغنا نصفها شرعت الأنوار تسطع ❊ فاشتغلنا بالكلمة الطيبة ❊ فتوفي قدس الله سره وذلك ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الأول لسنة 791 وسنه أربع وسبعون سنة ❊ ودفن في بستانه في

الموضع الذي أمر به ❊ وبنى عليه أتباعه قبةً عظيمة ❊ وعمروا البستان ❊ وجعلوه مسجدا فسيحا ❊ وأجرى الملوك عليه أوقافا جمة ❊ وبالغوا بالاعتناء به رضي الله عنه ❊ ذكر جميع ذلك في «الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية» للقطب سيدي عبد المجيد بن محمد الخاني ❊